مقـــدمة

للمعرفة الإنسانية عند المسلمين مصدران رئيسان : هما الوحى السماوىّ المنزل من الخالق – سبحانه وتعالى – ، والعلوم المكتسبة فى مختلف مجالات المعرفة والتى تجمعت عبر الأجيال المتعاقبة من السلالة البشرية إلى اليوم وحتى قيام الساعة .

والوحى السماوىّ نزل بيانًا للناس من خالقهم ، وهداية لهم فى أمور معاشهم فى هذه الدنيا التى يحيونها ، وفى أمور الآخرة التى لم يشاهدوها بعد ، .. ففيه الإجابات الكلية عمّا يدور فى عقل كل صاحب عقل : من أنا ؟ من الذى أوجدنى فى هذه الحياة ؟ ما رسالتى فيها ؟ وكيف يمكن لى القيام بتحقيق تلك الرسالة على الوجه الأكمل والأمثل؟ ثم ما مصيرى بعد هذه الحياة .. ؟ وهى أسئلة يتعرض لها كل إنسان عاقل فى مرحلة من مراحل حياته على الأقل .. إن لم تعايشه طيلة حياته حتى يصله نور الهداية الربانية .. وأقول كل إنسان .. تقدم عصره أم تأخر ، وقلت ثقافته أم زادت .. وصغر شأنه فى قومه أم كبر .

والوحى السماوى فى هدايته للبشرية يتعرض لعلاقة الأفراد بخالقهم وعلاقتهم بذواتهم ، وبأهليهم وذوى قرباهم ، بل وبمجتمعاتهم وأممهم وبالأسرة الإنسانية كلها على اختلاف ألوانها ومواطنها وألسنتها .. وهو فى ذلك يحدد قضايا العقائد والعبادات

والأخلاق والمعاملات ، وكلها قضايا لا يمكن للإنسان أن يضع لنفسه فيها ضوابط صالحة من عنده .. وهو الذى قد زين له حب الشهوات .. وكانت الأثرة فيه شيئًا من طبعه .

بذلك يحدد الوحى السماوى المنزل من الخالق - تبارك وتعالى - للناس عددًا من القضايا الغيبيّة كالعقائد ، والأوامر الإلهية كالعبادات ، وضوابط السلوك كدساتير كل من الأخلاق والمعاملات ، وجميعها من القضايا ، التى لا يمكن للإنسان أن يصل إلى تصور صحيح لها بجهده منفردًا ، أما كل ما عدا ذلك من أمور الكون المادية ، وصور الحياة فيه ، وما يحكم ذلك من قوانين لا تتبدل ولا تتغير ، ولا تتوقف ولا تتخلف ، فقد ترك لاجتهاد الإنسان وتحصيله ، ووسيلته فى ذلك عقله وحواسه ، وهما على روعتهما محدودان بحدود قدرات الإنسان ، وبحدود مكانه (على الأرض) وزمانه (أى عصره) ، وكلها حدود جعلت منجزات الإنسان فى حقل المعارف المادية تأتى حثيثة .. بطيئة ، تنمو مع الزمن ، ومع نمو الحاجة إلى المعرفة ، والرغبة فى الوصول إليها إشباعًا لتلك الفطرة الطيبة التى غرسها الله فى الجبلة الإنسانية ، ألا وهى حبُّ الحق ، وحب التعرف عليه ، والتى يعبر عنها أحيانًا بحب الاستطلاع .. أو بحب الجرى وراء المعرفة ..

وهنا تجدر الإشارة مرة أخرى إلى أن للمسلمين فى قضية المعرفة الإنسانية موقفًا خاصًّا ، يختلف بجلاء عن مواقف غيرهم من أصحاب المعتقدات الأخرى ، ومن غير أصحاب المعتقدات ؛ لأن المسلمين يؤمنون بأن الإنسان بدأ عالمًا عابدًا ، بينما يؤمن غير المسلمين – خاصة المهتمين منهم بما يسمى اليوم باسم الدراسات الإنسية – بأن الإنسان بدأ جاهلاً كافرًا ، ثم أخذ فى تعرف الكون وظواهره التى أرعبته فى بادئ الأمر فعبدها وتدرج فى تلك العبادة الوثنية ؛ حتى وصل إلى القناعة بعبادة خالق تلك

الأكوان .. فعبد الله .. وتدرج فى التعرف على الظواهر والسنن الكونية وأخذ فى توظيفها فى عمارة الحياة على الأرض فتعلم العلم وتطبيقاته التقنية .

من هنا كان من أسس المعرفة الإنسانية عند المسلمين ذلك العلم الوهبى ، الذى وهبه الله تعالى لأبى البشرية سيدنا آدم (على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام) ، والذى يتلخص فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1] .

وعلى أساس من ذلك العلم الوهبى ، يمكن تفسير تلك الحضارات الموغلة فى التاريخ من مثل الحضارة المصرية القديمة (٥٠٠٠ ق.م – ٣٠ ق.م) ، حضارات ما بين النهرين دجلة والفرات (٤٠٠٠ ق.م – ٥٥٠ ق.م) . وتشمل الحضارة السومارية (٤٠٠٠ ق.م – ١٦٠٠ ق.م) ، والحضارة البابلية (١٧٦٠ ق.م – ٨٢٩ ق.م) ، والحضارة الآشورية (٧٥٠ ق.م – ٦٠٥ ق.م) ، والحضارة الكلدانية (٦٠٥ ق.م – ٥٥٠ ق.م) . ومن مثل الحضارة الفارسية القديمة (٥٢٥ ق.م – ٦٣٥م) ، والحضارة الهندية القديمة (٢٥٠٠ ق.م – ١٨٠٠ ق.م) ، والحضارة الصينية القديمة (٤٥٠٠ ق.م – ٧٠٠م) ، والحضارة الإغريقية القديمة (١٥٠٠ ق.م – ١٠٠ ق.م) ، والحضارة الرومانية القديمة (٥٠٠ ق.م – ٤٧٦م) . وحضارات كل من جنوب الجزيرة العربية (٢٠٠٠ ق.م – ٣٠٠م) وشمال الجزيرة العربية (من حوالى ١٠٠٠ ق.م – ٢٣٦م) ، وإن كان أغلب هذه الحضارات قد انحرف إلى وثنيات متباينة ، وإلى أنماط من الشرك مختلفة ، أدت إلى إفنائها وإبادتها .

ومع تسليمنا بأن العلوم المكتسبة لها طبيعة تراكمية ؛ بمعنى أن يتجمع للمتأخرين من المعارف ما لم يتجمع للسابقين ، وأن المعارف عند تجمعها تؤدى بالفكر البشرى إلى قفزات تتناسب مع كمّها وكيفها ، يمكن تفسير ذلك التقدم العلمى المذهل الذى

---

(١) البقرة : ٣١ .

حققه الجنس البشرى فى القرن الميلادى العشرين – بصفة عامة – وفى العقدين المتأخرين منه بصفة خاصة ، كما يمكن إدراك قيمة الجهود التى بذلت عبر التاريخ من أجل وضع لبنات الفكر المكتسب فى مختلف مجالات المعرفة البشرية .. خاصة إذا وضعنا فى الحسبان احتمالات فقدان كثير من تلك المعارف عبر عصور الانحطاط التى مرت بها البشرية ، واحتمالات عدم الكشف عنها فى عصور ما قبل استخدام الكتابة أو انتشار استخدامها ؛ حيث كانت غالبية المعارف تنقل مشافهة وغالبية المهارات تكتسب بالمحاكاة والتقليد والتوريث .

ومع تسليمنا كذلك بأنه فى عملية تجمع المعارف البشرية تلك عبر الأجيال المتعاقبة ، يضيف الأفراد كما تضيف الجماعات بقدر ما يستطيعون ، وتشترك المجتمعات المستنيرة فى تهيئة الظروف الملائمة للنابهين من أبنائها فى السعى وراء الحقيقة واكتشاف غوامضها ، وتسجيل حصاد جيلهم وتراث الأجيال السابقة عليهم للأجيال اللاحقة بهم ، فإنه لا يمكن – بأى حال من الأحوال – قصر المحصلات المعاصرة لعملية تجمع المعارف البشرية عبر الأجيال المتعاقبة على أمة من الأمم أو سلالة من السلالات دون غيرها . بل لابد من إدراك وحدة الأصول الإنسانية ووحدة المعرفة العلمية بين الشعوب فى سلالة واحدة ، وصفها خاتم الأنبياء والمرسلين (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) بقوله الشريف : «**كلكم لآدم ، وآدم من تراب**»[1] .

من هنا كانت ضرورة التسليم بأن المعارف البشرية المكتسبة هى تراث الإنسانية جمعاء ، ولكن فى الوقت نفسه لابد من تحرى الدقة فى استعراض تدرج تلك المعارف مع الزمن ؛ حتى نتمكن من فهم مسيرة الحركة الفكرية والعلمية والتقنية عبر

---

(١) أورده المناوى فى فيض القدير ، ٥/٥١ .

تاريخ البشرية الطويل ، ومن تسجيل الحق لأصحابه ، ونسبة الفضل لأهله ؛ حتى لا يغفل دور من الأدوار لفرد أو لجماعة أو لأمة من الأمم ، وحتى يكون فى استقراء التاريخ شحذ للهمم، وإحياء للنفوس ، وتحريك للقلوب لمواصلة مسيرة الركب الإنسانى فى جهاده ؛ من أجل الوصول إلى الحقيقة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد أصبح ذلك المجال فنًّا قائمًا بذاته ، يعرف باسم « **تاريخ المعارف الإنسانية** » ومن أبرز تلك المعارف ، وألصقها بدنيا الناس ، وأكثرها تأثيرًا فى مجرى حياتهم وفى تطور حضاراتهم : المعرفة فى مجال العلوم البحتة والتطبيقية ، وتاريخها يعرف باسم «**تارخ العلـــوم**» ؛ لأن الاتجاه السائد يقصر لفظة « العلم » على الدراسات الكونية والتجريبية لكل ما هو محسوس أو مدرك فى هذا الكون (المادة على تعدد صورها ، والطاقة على اختلاف هيئاتها ، والأحياء بكافة أنواعها ، والظواهر الكونية على تباين أشكالها وتعدد القوانين التى تحكمها) بالمشاهدة والاستنتاج ، أو بالتجربة والملاحظة والاستنتاج فى محاولة لمعرفة خصائص المادة والطاقة وصور الأحياء وتصنيف ذلك كله وتبويبه ، وتعرف الظواهر الكونية التى تصاحبه ، والسنن الإلهية التى تحكمه ، ووضع الفروض والنظريات اللازمة لتفسير ذلك ، واستنتاج القوانين الكونية منها .

ومما يؤسف له حقًّا أن كتابة « **تاريخ العلوم** » قد تركت فى معظمها لأقلام غير المسلمين ، فأهملوا دور المسلمين فى نهضة البشرية ، وأنكروا أثر حضارتهم فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية بصفة عامة ، وفى مجال العلوم البحتة والتطبيقية بصفة خاصة ، ذلك الدور الذى استمر - بغير انقطاع - منذ مطلع القرن السابع الميلادى (مع بدء تنزل الوحى السماوى على خاتم الأنبياء والمرسلين سنة ١٣ قبل الهجرة أى ٦١٠م) إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ؛ حين تنازل الباب العالى التركى عن شبه جزيرة القرم نهائيًّا لروسيا فى سنة ١٢٠٧هـ الموافق ١٧٩٢م ، ودخل نابليون

بونابرت مصر بجيوشه غازيًا فى سنة ١٢١٣هـ الموافق ١٧٩٨م) ، وختم ذلك بإسقاط دولة الخلافة الإسلامية فى سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م .

وانطلاقًا من ذلك .. فإن الغالبية العظمى من كتب تاريخ العلوم ، والكتابات الأخرى التى تتعرض لتلك القضية فى مقدمات تاريخية للتخصصات المختلفة عادة ما تبدأ بالحضارة اليونانية القديمة ؛ وبخاصة فى الفترة من القرن السادس قبل الميلاد إلى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد ، ثم تنتقل منها إلى الحضارة الرومانية- والتى بدأت فى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد وانتهت فى حدود سنة ٤٧٦م - ، ومنها تقفز فى وثبة طويلة عبر ستة من القرون ، كانت عند الغرب قرونًا مظلمة (من ٤٧٦م- ١١٠٠م) إلى العصور الوسطى (من ١١٠٠م – ١٥٤٣م) ، ومنها إلى عصر النهضة الحديثة (من ١٥٤٣- اليوم)، متناسين تمامًا أكثر من أحد عشر قرنًا من الزمن (من ٦١٠م إلى ١٧٩٨م الموافق ١٣ ق.هـ- ١٢١٣هـ) ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية أيما ازدهار ، فجمعت تراث الإنسانية عبر الحضارات السابقة (وفى كل اللغات المتوافرة من السنسكريتية إلى الفارسية إلى السريانية إلى اليونانية واللاتينية وغيرها) جمعًا أمينًا موثقًا ، نسبت فيه كل إضافة لصاحبها ، وقامت بنقد ذلك التراث نقدًا علميًّا دقيقًا ، بعد أن قامت بترجمته إلى اللغة العربية ، وأضافت إليه إضافات أصيلة عديدة فى مختلف مجالات المعرفة .. وكان تراث الحضارة الإسلامية - بجدارة - هو القاعدة الراسخة التى انطلقت منها النهضة العلمية والتقنية المعاصرة .

هذا التراث الإنسانى العظيم كثيرًا ما يغفل ، وإذا ذكر فإنما يتعمد تحقيره والاستهانة به ؛ لتأكيد أنه كان مجرد دور ناقل لآثار الحضارات السابقة من مثل الحضارات اليونانية والرومانية والهندية والفارسية والمصرية وحضارات ما بين النهرين . وحتى فى ذلك عادة ما يركز الكتّاب الغربيون على النقل من الحضارة الإغريقية أكثر من النقل عن غيرها إمعانًا فى التعصب ؛ باعتبار اليونان جزءًا من أوروبا . وليس هذا فحسب بل إنه - فى كثير من الأحيان - قد تمت ترجمة بعض كتب التراث الإسلامى ،

ونسبتها إلى عدد من فلاسفة الإغريق أو إلى غيرهم من الأوروبيين ، كما حدث فى عدد من آثار كل من الفارابى وابن سينا ، ومن أمثلة ذلك ما حدث مع كتاب «الربوبية » ومقالتى « المعادن والآثار العلوية » لابن سينا واللتين ترجمتا إلى اللغة اللاتينية ونسبتا ظلمًا إلى أرسطو حتى تم اكتشاف الحقيقة فى سنة ١٩٢٧م بواسطة المؤرخين هوليارد وماندفيل (Holmyard E.J and Mandeville, D.C) . وليس هذا فقط ، بل تم - فى كثير من الأحيان - تحريف أسماء مشاهير علماء المسلمين وتحريف أسماء معطياتهم العلمية وصياغتها صياغة لاتينية ؛ لتفقد جذورها العربية وصلتها بالعالمين العربى والإسلامى . وذلك من مثل تحريف أسماء كل من العلماء المسلمين ومعطياتهم على التحو التالى :

(١) «أبو إسحق نور الدين البتروجى» (Al- Bitruji) المولود فى مراكش والمتوفى فى إشبيلية سنة (١٢٠٤م) إلى البتراجوس (Albetragius) .

(٢) و« ابن رشد » إلى أفيرويس (Averroes) .

(٣) و« موسى بن ميمون » إلى ميمونيدس (Maimonides) .

(٤) و« ابن باجه » إلى أفيمباس (Avempace) .

(٥) و« ابن زهر » إلى أفينزوير (Avenzoar) .

(٦) و« الفارابى » إلى الفارابيوس (Alpharabius) .

(٧) و« جابر بن حيان » إلى جيبير (Geber) .

(٨) و« الرازى » إلى رازيس (Rhazes) .

(٩) و« ابن سينا » إلى أفيسينا (Avicenna) .

(١٠) و« أبو إسحق إبراهيم بن يحيى الزركلى » (١٠٢٨ - ١٠٨٧) Al- Zarqally الذى عاش فى طليطلة إلى أرزاكل (Arzachel) .

(١١) و« أبو معشر » إلى ألبوماسر (Albumasar) .

(١٢) و« الخوارزمى » Al- Khawarizmi إلى (Algorithm) .

(١٣) و« الفرغانى » Al- Farghani إلى (Alfraganus) .

(١٤) و« البتانى » Al- Battani إلى (Alpetegnius) .

(١٥) المأمون إلى (Al- Manon) .

(١٦) و« ابن الهيثم » Ibn- al- Haitham إلى (Al- Hazem) .

(١٧) و« حنين بن إسحاق العبادى » إلى (Johannitus) .

(١٨) و« الصوفى » إلى (Azophi) .

(١٩) و« مستعرب » Mustarib إلى (The Mozarabs) .

(٢٠) و« المرابطون » إلى (Al- Moravids) .

(٢١) و« الغزالى » إلى (Algazel) .

(٢٢) نجم آخر النهر (Acherner) .

(٢٣) نجم العناق (Alamak) .

(٢٤) الفرسخ الفلكى (Parsec) .

(٢٥) ما شاء الله إلى (Messla) .

وهذا قليل من كثير .

وعلى الرغم من ذلك كله ، فقد اعترف عدد من منصفى علماء الغرب بدور الحضارة الإسلامية المشرف فى الحفاظ على تراث الإنسانية ونقده وتطويره وإثرائه . وإن بقيت الغالبية العظمى من الكُتّاب الغربيين منكرة لذلك أو متجاهلة له .

وقد استعرض **الأستاذ على أحمد الشحات فى كتابه « أبو الريحان البيرونى »** بعض أقوال المنصفين من الكتّاب الغربيين فى حق الحضارة الإسلامية ، فأورد من قول برنال (Bernal) ما ترجمته : « إن الفضل ، أعظم الفضل ، للعلماء العرب فى الحفاظ على هذا التراث وتدوينه ونقله والتأليف فيه ، وإن العلماء العرب قد برعوا فى ذلك ، وإنهم تفوقوا على الإغريق ، بأن جعلوا العلم سهلاً مستساغًا ، فأقبل الناس على النهل منه وكانت ميزة انفرد بها العلم العربى » .

obeikandl.com

ومن قول كاربنسكى (L.C. Karpinski) ما ترجمته : « إن الخدمات التى أداها العرب للعلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين ، وإن البحوث الحديثة قد دلت على عظم دَيْنِنَا (نحن أبناء الحضارة المعاصرة) للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم ، حين كانت أوروبا غارقة فى ظلمات القرون الوسطى ، وإن العرب لم يقتصروا على نقل علوم الإغريق ، بل زادوا عليها ، وقاموا بإضافات مهمة فيها » .

ومن قول فرانتز روزنتال (Franz Rosenthall) فى كتابه : « منهاج العلماء المسلمين فى البحث العلمى » نقلاً عن فون كريمر (Von Kramer) وهو يصف النشاط العلمى عند علماء ما ترجمته : « إن أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليًّا فى حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فإنهم كانوا يبدون نشاطًا واجتهادًا عجيبين حين يلاحظون ويمحصون ، حين يجمعون ويرقبون ما تعلموه من التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد ، وكذلك فإن أسلوبهم فى البحث هو أكبر ما يكون تأثيرًا عندما يكون الأمر فى نطاق الرواية والوصف .. وبصفتهم مفكرين ومبدعين ، فقد أتوا بأعمال رائعة فى حقلى الرياضيات والفلك ، وللسبب ذاته نجح العرب فى بقية العلوم » .

ومن قول ليبرى (Libri, C.) ما ترجمته : « لولا العرب لتأخر عصر النهضة فى أوروبا لعدة قرون ، فلقد لمع العرب فى كل الميادين العلمية ، وفى الوقت الذى كان فيه الشعراء والأدباء والفقهاء يقومون بأدوارهم فى نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية ، كان العلماء فى كل الميادين يقومون بقسطهم من البحث والنقل والتجويد ، ولم يدعوا بابًا إلا طرقوه ، إن لم يكونوا قد فتحوا فى العلم أبوابًا جديدة» .

ومن قول وليم أوسلر (W. Osler) ما ترجمته : « لئن أشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية ، فإنهم ما لبثوا أن أصبحوا جميعًا شعلة وهاجة استفاد بنورها أهل الأرض » .

ومن قول مؤرخ العلم جورج سارتون (G. Sarton) : « إن بعض الغربيين الذين تعمدوا أن يستخفوا بما أسداه الشرق إلى العمران يصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا إليها شيئًا ما . هذا الرأى خطأ ؛ لأنه لو لم تنقل إلينا كنوز اليونان لتوقف سير المدنية بضعة قرون . إن العرب لم ينسخوا من المصادر اليونانية والسنسكريتية نسخًا ، ولكنهم جمعوا بين المصدرين ثم لقحوا الآراء اليونانية بالآراء الهندية ، وإذا لم يكن هذا الذى فعله العرب ابتكارًا فليس فى العلم إذًا ابتكار على الإطلاق ، فالابتكار العلمى فى الحقيقة إنما هو حياكة خيوط المعرفة فى نسيج واحد ».

ومن قول المستشرق اليهودى البريطانى المتأمرك برنارد لويس (Bernard Lewis) وهو من ألد أعداء العرب والمسلمين ما ترجمته : « إن أوروبا تحمل دَيْنًا مزدوجًا للعرب ، فقد حافظ العرب على التراث الفكرى العلمى الذى خلفه اليونان وتوسعوا فيه ونقلوه إلى أوروبا ، ومن العرب نقلت أوروبا طريقة جديدة فى البحث وهى طريقة تضع العقل أولاً ، وتنادى بوجوب البحث المستقل والتجربة » .

ومن قول ديلاس أولبرى (D. Olberi) : « لو أزيل العرب من التاريخ لتأخرت النهضة فى أوروبا بضعة قرون ، فقد علَّمت الأمة العربية الغرب بعد أن أيقظته خمسة قرون أو ستة ، وحتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا — ولا تزال — تناقش فى جامعة مونبلييه بفرنسا » .

ومن قول سيجريد هونكه (Sigrid Hunke) ما ترجمته : « لشد ما يغبن حق العرب حتى يكتفى بالقول إنهم نقلوا التراث القديم إلى العالم الغربى بعد ما حفظوه من الدمار ، وذلك يعنى التقليل من قيمتهم والسكوت عن الأمور الجوهرية فى عملهم الحضارى وجعلهم مجرد وسطاء لا غير ، والحقيقة أن سائر مناحى الحياة الاقتصادية والعلمية والاجتماعية فى الغرب مدموغة بآثارهم » .

ومن قول جوستاف لوبون (Gustave Le Bon) ما ترجمته : « كلّما تعمق المرء فى دراسة المدنية العربية تجلت له أمور جديدة واتسعت أمامه الآفاق ، وثبت له أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلا بواسطة العرب ، وأن جامعات الغرب عاشت خمسمائة سنة تكتب للعرب خاصة ، وأن العرب هم الذين مدَّنوا أوروبا فى المادة والعقل والخلق » .

ومن قول دريبر (J. W. Draper) ما ترجمته : « لقد كان تفوق العلماء العرب فى العلوم ناشئًا عن الأسلوب الذى توخوه فى بحوثهم ، وهو أسلوب اقتبسوه من اليونان .. لقد تحققوا أن الأسلوب العقلى وحده لا يكفى ، ولابد من أسلوب علمى تجريبى . وهذا هو الذى رفعهم لهذا الترقى العظيم فى الهندسة وحساب المثلثات والجبر والفلك والطب وغيرها من العلوم » .

وعلى الرغم من ذلك فإنه كثيرًا ما تضيع أصوات المنصفين – وهم قلة – وسط ضوضاء الكثرة الجاهلة أو الحاقدة ، ووسط تقصير المسلمين فى حق تراثهم ، وفى القيام بواجب إحيائه ، وعلى ذلك .. فإن هذه القرون الطويلة ، التى كان فيها علماء المسلمين هم حملة مشاعل المعرفة وكتابها وأدباؤها وفنانوها ، (والتى كان غير المسلمين فيها يغطون فى ظلام دامس ، وجهل مطبق) يتم إسقاطها من حساب التاريخ عادة عن جهل فاضح .. أو عمد واضح .. أو عن كليهما معًا .. لأن المسلمين فى تخلفهم المعاصر قد أهملوا الاهتمام بتراثهم الفكرى ، وتناسوا تحقيقه وإحياءَه وحسن عرضه إحقاقًا للحق ، وتصويبًا للواقع الخاطئ ، وإنصافًا لأجيال من علماء المسلمين ، بذلوا الجهد والوقت والمال والفكر فى سبيل المحافظة على المعرفة الإنسانية وإثرائها وتطويرها ، ودفع عجلتها إلى الأمام حتى وصلتنا فى الصورة المشرِّفة التى انطلقت منها الحضارة المعاصرة حين أفاق الغرب فى القرن الحادى عشر للميلاد من جهالة العصور المظلمة ؛ ليجد نفسه أمام حضارة إسلامية شامخة البناء بهرت

الأوروبيين ، ودفعت طلاب العلم والمعرفة منهم إلى ترجمة كل ما استطاعوا ترجمته من مؤلفات المسلمين ، وإلى محاكاة كل ما أمكنهم محاكاته من فنونهم وصناعاتهم ونظمهم وأدواتهم ؛ مما أدى إلى قيام شيء من الصحوة الفكرية فى أوروبا الغربية يطلق عليها المؤرخون اسم « **النهضة الأوروبية فى القرن الثانى عشر الميلادى** » أو « **النهضة الوسيطة** » .

وقد كانت هذه النهضة فى أساسها وفكرها ومادتها العلمية مستمدة من الحضارة الإسلامية ؛ ولكنها على الرغم من اعتمادها على فكر تلك الحضارة فى نواحى العلوم المكتسبة فقد وقفت من الإسلام موقفًا معاديًا ، لم يمكنها من استيعابه فكرًا ، فضلاً عن قبوله نظامًا شاملاً للحياة : عقيدة وأخلاقًا وعبادات ومعاملات ؛ وذلك لأن سرعة انتشار الإسلام انتشارًا آمنًا تلقائيًا ، دون أدنى إكراه أو ضغط فى مساحات واسعة من العالم ، وبين كثير من الشعوب التى كان بعضها قد اعتنق النصرانية دينًا ، أفزع الكنيسة لدرجة أنها رفضت مجرد النظر فى دعوة محمد ﷺ إلى دين الله القويم أو حتى فى دعواه أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، بل وقفت من تلك الدعوة موقف المعاداة والرفض والتشويه ، فلم يكد ينقضى على وفاة رسول الله ﷺ سبعون سنة حتى كانت الدولة الإسلامية قد امتدت من المحيط الأطلسى حتى المحيط الهندى شاملة كثيرًا من الأراضى التى كانت تحت سيطرة الكنيسة وهيمنتها ، وفى ذلك يروى **الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور فى كتابه «المدنية الإسلامية»** نقلاً عن المؤرخ الإنجليزى بيكر (Becker) ما ترجمته : « إن أوروبا العصور الوسطى نظرت إلى انتشار الإسلام من وجهة النظر الكنسية الضيقة ، وكأن الكنيسة قد أفزعها وآلمها انتشار الإسلام فى بلاد ترتبط بأصول المسيحية ونشأتها — مثل الشام ومصر وشمال العراق — فراحت تدَّعى أن الإسلام لم يأخذ سبيله إلى هذه البلاد إلا بحد السيف » ولكن (بيكر) « يؤكد أن هذه النظرة — التى مازال بعض المتعلمين فى أوروبا حتى اليوم يعتقدون فى صحتها —

بعيدة عن الواقع ؛ لأن الوثائق المعاصرة كلها تثبت أن العرب قد تسامحوا مع أهالى البلاد المفتوحة ، ولم يفرضوا عليهم ديانة معينة ، وإنما فرضوا فقط سيطرتهم السياسية ؛ فسيطرة العرب السياسية هى التى انتشرت بقوة السلاح . أما الديانة الإسلامية نفسها .. فقد وجدت سبيلها إلى قلوب الغالبية العظمى من أهالى البلاد المفتوحة ، بدليل ما أجمعت عليه الوثائق المعاصرة من تسامح العرب المطلق مع المسيحيين واليهود على حد سواء ، وهو تسامح لم يحظوا به فى ظل حكامهم السابقين» .

وكانت **نهضة أوروبا فى القرن الثانى عشر الميلادى (أو النهضة الوسيطة)** هى الشعلة التى أضاءت الطريق أمام **النهضة الإيطالية فى القرن الخامس عشر الميلادى** ، حين زاد الاتصال الحضارى بين غرب أوروبا ومراكز الحضارة الإسلامية فى كل من إسبانيا وصقلية ، وعبر الحروب الصليبية ، وفوق ذلك كله عبر حركة الترجمة للمؤلفات العربية إلى اللغة اللاتينية – وقد كانت لغة العلم آنذاك – وفى ذلك **يقول جوستاف جروينباوم ، فى كتابه « حضارة الإسلام »** ما ترجمته :

« إن الغرب الأوروبى لم يكتف فى كثير من الحالات بالوقوف على المادة اليونانية التى قدمها له المسلمون فى ترجمتها العربية ، بل كان الغرب أكثر تلهفًا على الشروح التى وضعها علماء المسلمين لتلك المادة . فمنذ القرن الثالث عشر – مثلاً – حرصت جامعة باريس على الربط بين فلسفة أرسطو وشروح ابن رشد لهذه الفلسفة ، وكان ينظر إلى كبار علماء المسلمين بعين الرهبة ، وكانوا ربما قد أوتوا ثقة لا سبيل إلى تحديها » .

وكانت أهم مراكز الترجمة من العربية إلى اللاتينية فى كل من الأندلس وصقلية ، ومن الغربيين الذين قصدوا إسبانيا فى القرن الثانى عشر للنهل من مصادر الحضارة الإسلامية : أديلارد (Adelard) الإنجليزى ، وهرمان (Herman) الألمانى (من كارنثيا شرقى التيرول وشمالى البندقية) ، وجيرارد الكريمونى (Gerard of Cremona) من

كريمونا بإيطاليا ، وكل منهم تعلم العربية ، وقام بدور من أدوار ترجمة المؤلفات العربية إلى اللغة اللاتينية ، (ويذكر أن جيرارد وحده ترجم أكثر من سبعين مؤلفًا عربيًّا) ، هذا بالإضافة إلى المستعربين من أهل إسبانيا من المسيحيين واليهود الذين قاموا أيضًا بترجمة كثير من المؤلفات العربية من أمثال دومينيكوس جنديسلافى (Dominicus Gondislavi) وبطرس الفونس (Petrus Alphonsi) وحنّا الأشبيلى (John of Seville) وأبراهام بن عزرا (Abraham Ben Ezra) ، وروبرت الشسترىّ (Robert of Chester) الذى قام بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرة فى مطلع القرن الثانى عشر الميلادى ، وريموند (Raymond) رئيس أساقفة طليطلة الذى أنشأ مكتبًا كبيرًا للترجمة فىالنصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى ، وقد قام ذلك المكتب بترجمة كثير من أمهات المراجع العربية إلى اللغة اللاتينية ، وكان من أعلام الترجمة من العربية فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى ألفرد (Alfered) الإنجليزى ، ومايكل سكوت (Michael Scott) الأسكتلندى .

أما جزيرة صقلية فقد سعدت بحكم إسلامى دام قرابة القرنين من الزمان (من ٢٩٠– ٤٨٤هـ الموافق ٩٠٣ – ١٠٩١م تقريبًا) ، ثم احتفظت بثقافتها العربية الإسلامية وبنسبة كبيرة من المسلمين بعد سيطرة النورمان عليها ، فكان لها – بحكم ذلك ، وبحكم توسطها بين أوروبا النصرانية وشمال إفريقيا المسلم – دور رائد فى حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، وكان من أشهر الذين قاموا بذلك إيوجنيوس البالرمى (Eugenius of Palermo) وفرج بن سالم اليهودى الصقلى .

ولكن هذا التسامح العظيم من جانب الحضارة الإسلامية ، وإيمان المسلمين العميق بوحدة رسالة السماء ، وبالأخوة بين الأنبياء وبحقيقة الأخوة الإنسانية ، وبضرورة نشر المعرفة بين الناس .. كل الناس .. على اختلاف ألوانهم ولهجاتهم ومعتقداتهم (فكلهم لآدم وآدم من تراب) ، والذى أتاح للأوروبيين فرص ارتشاف

المعرفة الإنسانية ، وترجمة تراث الحضارة الإسلامية .. كل ذلك قد قوبل بنكران للجميل لم تعرف له البشرية مثيلاً .. فبعد أن تم نقل التراث العربى إلى اللغة اللاتينية ، وبعد استيعابه ، وهضمه ، واستخدامه كأساس للنهضة المعاصرة تم تدميره فى جريمة بشعة ، يصفها **الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه (مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام، الطبعة الرابعة ، صفحة ٣٢٦- ٣٢٩)** ما نصه : « .. لم تمض أعوام قلائل على سقوط غرناطة (١٤٩٢م) حتى ارتكبت إسبانيا النصرانية جريمتها الشائنة بتدمير تراث التفكير الإسلامى . ففى سنة ١٤٩٩م أمر الكاردينال خمنيس ، مطران طليطلة ، بجمع جميع الكتب والآثار العربية من سكان غرناطة وأرباضها ، وتنظيمها أكداسًا فى ميدان باب الرملة ، أعظم ساحات المدينة ، ومنها كثير من المصاحف البديعة الزخرف ، وآلاف مؤلفة من كتب الآداب والعلوم ، واحتفل بإحراقها (بعمل وصف خطأ بأنه من أعمال الإيمان) ، ولم يستثن منها إلا ثلاثمائة من كتب الطب وهبت لجامعة الكالا (القلعة) . وهلك فى تلك المحنة معظم تراث الأندلس الفكرى . وقد اختلف المؤرخون فى تقدير عدد المخطوطات العربية التى ذهبت فريسة هذه الجريمة الشائنة ، فقدرها بعضهم بأكثر من مليون ، ولكن كوندى قدرها بثمانين ألفًا ، وتقديره أرجح وأقرب إلى المعقول ؛ لأن المكتبة الأموية الشهيرة فى قرطبة لم تزد – طبقًا لأصح الروايات – على ستمائة ألف مجلد ، وقد بددت هذه المجموعة الكبيرة أيام ثورات البربر ، ولم يجتمع فى غرناطة مجموعة بهذه الضخامة ، ولكنها كانت - وهى عاصمة الإسلام فى الأندلس - تحتوى أنفس الآثار العربية الأندلسية » .

ويمضى الأستاذ محمد عبد الله عنان إلى القول : « بأن المجموعة العربية فى الأسكوريال – قريبًا من مدريد – بلغت فى أوائل القرن السابع عشر نحو عشرة آلاف مجلد ، ولبثت هذه الآلاف العشرة من المخطوطات الأندلسية والمغربية فى قصر الأسكوريال زهاء نصف قرن ، وكانت أغنى وأنفس مجموعة من نوعها فى إسبانيا ،

ولكن محنة جديدة أصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس الفكرى . ففى سنة ١٦٧١م. شبت النار فى الأسكوريال والتهمت معظم هذا الكنز الفريد ، ولم ينقذ منه أكثر من ألفين هى التى تثوى اليوم فى أقبية الأسكوريال » .

ثم تعرض التراث الإسلامى لمحن أخرى كثيرة على أيدى الغزاة من التتار والصليبيين واللصوص وبأيدينا نحن فى كثير من فترات الانحلال التى عاشتها أمتنا ، وفى ذلك يذكر **الأستاذ جلال كشك فى كتابه (طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية صفحة ٦-٨**) ما نصه : « إن تاريخنا قد دُمِّر على يد الغزاة وبفعل عناصر التخلف والانهيار .. إن ذلك التراث الذى ألقاه التتار فى دجلة لا شك أن مداده الأسود قد حمل معه إلى الخليج جانبًا من المعرفة ، وجانبًا من تراثنا ضاع وإلى الأبد .. وتلك المكتبات التى أحرقها الغزو الصليبى لمدن الشام فى طرابلس والمعرة والقدس وغزة وعسقلان ، حتى قدر بعض المؤرخين أن الصليبيين قد أحرقوا فى مدينة طرابلس وحدها ثلاثة ملايين مجلد .. لاشك أن نسبة خطيرة منها تضمنت حقائق من تراثنا ، ما يمكننا القول بأنه قد ضاع وإلى الأبد . وفى الأندلس أحرق فى يوم واحد فى ميدان غرناطة ما يقدره بعض المؤرخين بمليون كتاب . ولم يقتصر التدمير على الغزو الخارجى ، بل إن عوامل الانهيار كما قلنا قد سلطت الأحقاد على تراث الأسلاف العظام.. ففى إحدى الفتن الداخلية نهب الثائرون مكتبة القاهرة ، فمزقوا الكتب واستخدموا جلودها نعالاً لهم ، وألقى عدد منها فى النيل . وحمل بعضها إلى شتى الأقطار ، وما بقى منها سفت عليه الرياح وتراكمت عليه الرمال ، فتحول إلى تلال عرفت – كما يقول الدكتور مصطفى السباعى – باسم **تلال الكتب** . فنحن لا نذهب بعيدًا إن قلنا إنه قد ضاع وسط هذه النكبات والمحن كثيرٌ من حقائق حضارتنا ومنجزاتها .. إنها– كما وصفها فردريك إنكلز فى كتابه «جدلية الطبيعة»– مبعثرة وضاع معظمها.. » .

ويمضى الأستاذ جلال كشك إلى القول : « .. ثم كانت المرحلة الثانية : مرحلة نهب التراث الإسلامى ، ونقله إلى مكتبات أوروبا . إن النسخة الأصلية لعديد من كتب تراثنا الإسلامى توجد الآن فى مكتبات الفاتيكان ، وفى الأديرة أو المتاحف والمكتبات العامة فى أوروبا وأمريكا .. فى ليل الانهيار والتخلف انقطعت الصلة بين الأسلاف العظام والحفدة العجزة ؛ فجهل هؤلاء قيمة ما تركه لهم أسلافهم ونظروا إلى مخطوطات ابن سينا وابن رشد ككتب للسحر والهرطقة ، أو إنهم عجزوا عن الانتفاع بها ، فتركت نهبًا مشاعًا لرسل الغرب .. وليس إلا أخيرًا ، وعندما استقر الأمر للحضارة الغربية وتأكد انتصارها على العالم الإسلامى ، عندئذ بدأ المستشرقون يعيدون نشر كتب تراثنا ويقومون بتحقيقها ، وأصبحنا نتعرف تاريخ أسلافنا من كتابات هؤلاء المستشرقين ، على تعصبهم وعجزهم عن فهم روح حضارتنا » .

من هذا الاستعراض السريع تتضح ضرورة العمل الحثيث على إحياء ما بقى من تراثنا ؛ لأن التراث – كما يصفه **الدكتور عماد الدين خليل فى كتابه المعنون « فى التاريخ الإسلامى : فصول فى المنهج والتحليل »** - « هو جذور الأمة ، ومكونات شخصيتها ، ومسارها الحيوى عبر الزمان والمكان .. وهو القاعدة والمنطق وحجر الزاوية .. وهو قدر الأمة ونسيج وجودها الذى لا يمكن لإنسان أن ينكره إلا على مستوى الجدل النظرى ، الذى لا رصيد له فى عالم التجربة الحية والواقع المعاش » ، ثم يستطرد فيقول : « ومن ثم يغدو الالتزام العلمى الواعى بهذا التراث ، وتفحصه ودراسته ، خطوة أساسية لفهم حاضرنا وتحديد الخرائط الدقيقة لمستقبلنا فى عالم يسوده صراع حضارى شامل ، خابت فيه أمة قطعت صلاتها ووشائجها بماضيها وتراثها .. » .

ويؤكد الدكتور عماد الدين خليل - فى كتابه - الالتحام الوثيق فى تراثنا بين قيم الإسلام والعروبة .. « التحامًا أبديًّا أقامت جسوره تجربتنا التاريخية ، وشدت أواصره ممارساتنا الحضارية ابتداءً من عنصرى الجغرافية والبيئة ، وانتهاء بالنظرة

الشاملة للكون والحياة والإنسان مرورًا باللغة والأخلاق والأذواق والعلاقات الدائمة بالعالم : سياسية واجتماعية وحضارية .. والله أعلم حيث يجعل رسالته » .. ثم يمضى فى حديثه ليؤكد نقطة مهمة ، مؤداها أن التشبث بالتراث للاستهداء بمعطياته وحمايته من التمزيق أو الرفض لا يمكن أن يعنى الانغلاق على الماضى فى شىء من الجمود أو القعود عن التقدم والحركة فى عصر نحن بأمس الحاجة فيه إلى أن نوسع مدى خطواتنا ، ونسارع فى السير ؛ لكى نلحق أولئك الذين سبقونا . ويضيف مستشهدًا بقول للمفكر الجزائرى الراحل الأستاذ مالك بن نبى - رحمه الله - بأنه لا يجوز أن تكون الدعوة إلى إحياء التراث شيئًا من محاولة التغلب على مركب النقص بتناول حقنه اعتزاز تعلل بها النفس فيقول : « نعم .. إذا ما أتحنا لهذا التشبث أن ينقلب إلى نوع من الاندماج فى الماضى والذوبان فيه .. إلى هروب من الحاضر الملىء بالتحديات للارتماء بكسل فى أمجاد الماضى وأضوائه الرومانتيكية الهادئة .. إلى رفض الانتماء إلى العصر والعودة الراجعة إلى الوراء ؛ لكى يحتوينا بسلبياته وإيجابياته على السواء إلى موقف غير علمى ، لا ينقد ولا ينتقى ولا يرفض ، بل يستسلم كلية لنداءات الماضى ويغيب عن العيان .. إن التشبث بالتراث ، إذا ما جاوز حده المنطقى الهادئ ، تحول إلى سلاح خطير نشهره ضد أنفسنا فى حلبة الصراع الرهيب ضد أعدائنا ومهاجمينا » . ثم يضيف : « ولقد انتبه أعداؤنا أنفسهم إلى هذا الجانب المدمر فى الموقف من التراث ، فأرادوا أن يستخدموه على مستوى الفكر لكى يغيبونا عن الحاضر فتخلو لهم الساحات » .

من هنا كانت ضرورة الاهتمام بتراث الحضارة الإسلامية ، وهى - فيما نعلم - الحضارة الإنسانية الوحيدة التى قامت على الإيمان بالله وعبادته بما أمر - وعلى القيام بواجبات الاستخلاف فى الأرض ، وعمارتها على خير ما يستطيع الإنسان .. ولا يمكن أن يتم ذلك بغير إلمام بجميع ما وصل إليه العلم البشرى من معارف فى شتى مجالات المعرفة ، انطلاقًا من قول المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - : « **الحكمة**

ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أولى الناس بها »[1] ، حتى لتأثم الأمة كلها إذا كان هناك علم من العلوم النافعة أو فن من الفنون الرفيعة أو صنعة من الصناعات اللازمة ، ولا يوجد متخصص مسلم فيها .

نقول الاهتمام بتراثنا على أنه جزء من كيان أمتنا ، ومن مكونات شخصيتها لا يمكن الانفصام عنه أو الانفصال منه .. وعلى أنه شاهد على صدق دعوتنا .. حيث إن الإنسانية لم تتمكن من النماء بشقيها الروحىّ والمادىّ نماء متّزنًا ، مطّردًا ، كما نمت فى ظل الحضارة الإسلامية نماء بشريًّا فيه كل ما للبشر من إمكانات السمو الروحىّ ، والبشرية الخطاءة .. اعتمادًا على قدر التزامهم بأوامر الله أو بعدهم عنها .. ولكنها التجربة البشرية الشاملة فى ظل المعايير الربانية الثابتة المحفوظة بحفظ الله ؛ ومن هنا كان توافر الإمكانية للمخطئ أن يعود ؛ وللمذنب أن يتوب ؛ وللمجتمعات أن تصحح مسارها وأن تعود إلى بارئها .

نقول انطلاقًا من ذلك كله فإننا ندعو إلى الاهتمام بتراثنا اهتمامًا ينبثق من اعتزازنا بذلك التراث وتقديرنا لقيمته ومن إيماننا به دليلاً عمليًّا واقعيًّا على إمكانية النهوض من جديد ، لا ذلك الاهتمام الذى ينطلق من محاولات الاعتذار عن تقصيرنا الراهن ، أو من مراوغات تعليل النفس بما صنعه الأسلاف هروبًا من مجابهة تبعات الواقع المرير .. نريده اهتمامًا يقدر مدى وأهمية التقدم العلمى والتقنى الذى حققته البشرية فى القرنين الماضيين – بصفة عامة– وفى النصف الأخير من القرن العشرين وبدايات القرن الحادى والعشرين – بصفة خاصة – ويدرك مدى تسارع الخطى فى هذا التقدم وخطورته عند الدول التى أخذت بالأسباب ، كما يدرك مدى تخلف ركب المسلمين المعاصرين عن ذلك ؛ مما أوجد بيننا وبينهم هوة سحيقة تزداد اتساعًا وعمقًا

---

(١) ذكره العجلونى فى كشف الخفا ومزيل الإلباس ، ١/ ٤٣٥ .

يومًا بعد يوم .. ونريده اهتمامًا يدرك ضرورة اللحاق بالركب فى أقصر مدى زمنى ممكن ، وإمكانيات تحقيق ذلك .. فلا تكون الدعوة إلى إحياء التراث صيحة إلى الانغلاق على الماضى ، فى شىء من الجمود والتقوقع ، أو القعود عن اللحاق بالركب العلمى الذى كُنّا لعشرة قرون – أو يزيد – روّاده وحَمَلَة لوائه .ولكن يجب أن يكون الاهتمام بالتراث دعوة إلى إحقاق الحق الذى أهدر .. وإزهاق الباطل الذى علا.. وتصحيح التاريخ الذى زُيِّف بأيدى المنتصرين من الكفار والمشركين وأعداء الدين. وأن يكون وسيلة من وسائل شحذ الهمم التى فترت ، وإذكاء الحماس الذى خبا ، وإحياء الثقة بالنفس التى قد اهتزت .. حتى نتمكن من مسايرة عصرنا فى غير يأس أو قنوط .. فإن الصحوة العلمية والتقنية ليست بالأمر العسير إذا كانت الأمة جادة فى تحقيقها ، وقد عايشنا أممًا ملحدة أو مشركة أو كافرة ، بدأت من الصفر واستطاعت فى بحر سنوات قليلة أن تصل إلى أعلى مستوى من العلوم والتقنية من أمثال اليابان والصين وألمانيا الغربية ، والهند ، وكوريا الشمالية والجنوبية .

فدعوتنا إلى إحياء التراث من هذه المنطلقات هى دعوة إلى صحوة جديدة على غرار ما فعله أسلافنا.. والنور الذى به استضاؤوا لايزال بين أيدينا.. فى صفائه الربانى ، وإشراقاته النورانية ونقائه وقدسيته .. لازال بين أيدينا وفى قلوبنا كتاب الله وسنّة رسوله .. وفيهما خير الهداية لنا وللبشرية جمعاء .. وخير وسيلة للنهوض ، وأفضل طريق لإنقاذ البشرية الضالة من حوالينا ، والتى فقدت كل مشاعر الأخوة الإنسانية بين أقوام مستعلية بما حققته من أسباب القوة المادية .. وأقوام مستذلة تحت وطأة تلك القوى العلمية والتقنية الرهيبة .. والقوى الكبرى فى العالم أصبحت تعيث فى الأرض فسادًا وبطشًا وتدميرًا ، وتريد فرض قيمها الهابطة وأخلاقياتها الساقطة على جميع أهل الأرض ؛ وهذه القوى الكبرى ذاتها هى فى أمس الحاجة إلى من يأخذ بيدها ؛ لإنقاذها من الهاوية التى تتردى فيها اليوم وليس لها من خلاص إلا بالإسلام ،

وبصحوة أمة الإسلام من جديد .. صحوة دينية علمية تقنية شاملة .. بشمول الإسلام وتمامه .. كاملة بعدله ورحمته وإنسانيته ومؤاخاته بين الناس .. وما ذلك على الله بعزيز.

ومن هنا أيضًا كانت ضرورة إحياء تراث المسلمين الأوائل فى مختلف مجالات المعرفة بصفة عامة ، وفى مجال علوم الأرض بصفة خاصة ، وهو مجال ندرت فيه الكتابة فى العصور المتقدمة من تاريخ البشرية ؛ نظرًا لأنه لم يتبلور فى صورته المستقلة إلا مؤخرًا ، ولذلك كان معظم وروده من خلال الكتابات عن الكيمياء أو الصيدلة أو الفلك أو المظاهر الكونية عامة ، أو من خلال غيرها من المعارف التى لها صلة بالأرض .

وتراث المسلمين الأوائل – على الرغم من ضياع أغلبه على أيدى كل من التتار والصليبيين من الأوروبيين والأمريكيين وغيرهم، وبأيدى الجهلة من أبناء المسلمين فى أزمنة الانحطاط والتخلف ، ونتيجة للسرقات المتكررة تحت هيمنة المستعمرين من الغربيين والشرقيين على حد سواء ، فإن هذا التراث الإسلامى – لايزال يملأ خزائن المكتبات فى الشرق والغرب ، ينتظر أبناء المسلمين ليقوموا بتحقيقه وإحيائه ونشره ؛ لأن الذى تم تحقيقه منه إلى يومنا هذا لا يتعدى واحدًا فى الألف من عدد المخطوطات المعروفة ، فضلاً عن غير المعروفة ، والتحقيقات التى أنجزت بالفعل قد تم أغلبها بأيدى أناس لم يفهموا عقيدة الإسلام ، ولا مغزى العبادات فيه ، ولا دستوره الأخلاقى ولا فقه المعاملات فيه ، ومن هنا أساؤوا فهم ما حققوه فى أغلب الأحيان وشوهوه .

وقد تبلورت فكرة هذا الكتاب عن عدد من المحاضرات التى ألقيت فى الجامعات العربية والأجنبية والمؤتمرات الدولية والمحلية ، فكان هذا الكتاب . الذى نعتبره بداية متواضعة تحتاج إلى متابعة نسأل الله تعالى أن يعمم نفعه ، وأن يسد به فراغًا قائمًا فى المكتبة العربية ، وأن يعيننا على مواصلة تنقيحه وترجمته إلى اللغات الأجنبية ؛ حتى

نسد عند أصحابها نقصًا هائلاً فى معلوماتهم عن الحضارة الإسلامية ونصحح مفاهيم مغلوطة كثيرة دست عليهم ولاتزال ؛ انطلاقًا من حقد الحاقدين على الإسلام وأهله، أو جهل الجاهلين بتاريخ الإسلام المشرق ونوره، أو من كليهما معًا . والله الموفق والمستعان ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

الفقير إلى عفو ربه
زغلول راغب محمد النجار

obeikandl.com